دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	أضواء حول الاستراتيجية العسكرية
المصدر:	مجلة الطليعة
الناشر:	مؤسسة الأهرام
المؤلف الرئيسي:	عزمي، محمود
المجلد/العدد:	س 6, ع 3
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1970
الشهر:	مارس
الصفحات:	49 - 59
رقم MD:	389841
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الفكر العسكري، التخطيط العسكري، المصطلحات، العلوم العسكرية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/389841

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

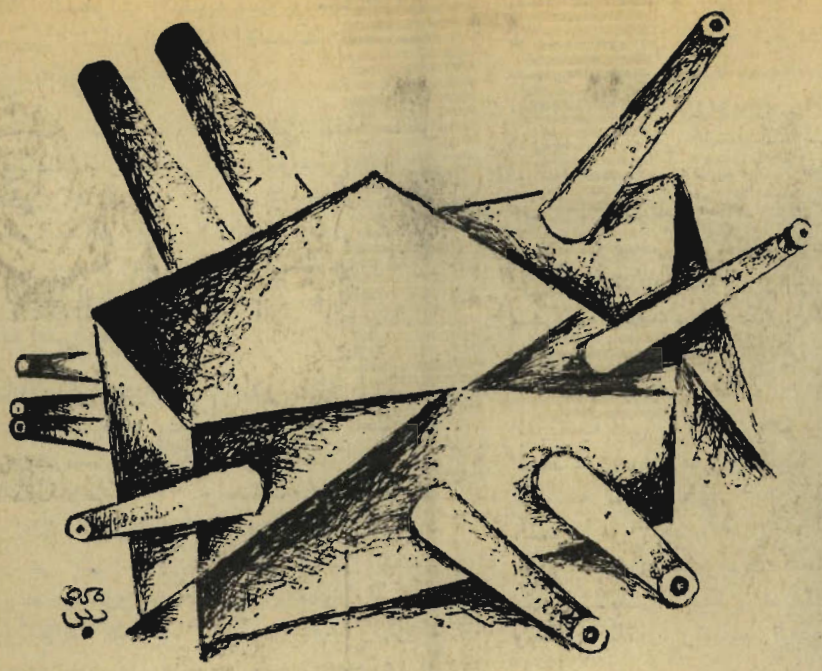

أضواء

حول الاستراتيجية العسكرية

محمود عزمي

يقول الكاتب العسكرى الفرنسى المعاصر «**أندريه بوفر**» فى كتابه «**مدخل الى الاستراتيجية**» « ان حقائق وخبايا كلمة الاستراتيجية خافية مجهولة غالبا رغم ترددها على السنة الكثيرين . ان هذه الكلمة هى بلا شك من أكثر التعابير الشائعة التى يتداولها الناس وهم يجهلون معناها الحقيقى . واسباب هذا الجهل عديدة، وأهمها : ان الاستراتيجية كانت لفترة طويلة من الزمن علم وفن كبار القادة ، ولم تكن تشغل الا اهتمام حفنة صغيرة من الناس ، ثم انتقلت معرفتها من جيل الى جيل بشكل سرى مغلق عن طريق الامثلة التى قدمها القادة المشهورون فى كل جيل ، وكأنها « مهارة » يتناقلها معلمو حرفة من الحرف » . (١)

والواقع أن هذا القول يعبر الى حد كبير عن حقيقة الغموض وعدم المعرفة العلمية الواضحة المحيطة بمفهوم كلمة « الاستراتيجية » التى كثر

(١) مدخل الى الاستراتيجية ـ ترجمة اكرم ديرى والهيثم الايوبى ـ بيروت ١٩٦٨ ـ صفحة ٢٣ .

تداولها خلال السنوات الاخيرة بين أوساط الرأى العام العربى التابع لحركة الاحداث السياسية والعسكرية عالميا ومحليا ·

وتهدف هذه الدراسة الموجزة الى القاء بعض الاضواء العلمية الاولية على هذا الموضوع الحيوى الهام الذى زادت أهميته بشكل كبير فى شرقنا العربى منذ أحداث يونيو ١٩٦٧ ، وما زالت تلك الاهمية فى ازدياد مع استمرار تصاعد وتطور [illegible] الامبريالية التى تقف وراءه ·

تعريف الاستراتيجية : لقد تطور مفهوم وتعريف كلمة « الاستراتيجية » عبر عصور التاريخ العسكرى بطريقة مشابهة لتطور وتغير مفهوم وتعريف كلمة « فلسفة » · واختلف هذا التعريف من عصر الى آخر وفقا لاختلاف وتطور التكنيك العسكرى فى كل عصر عن الاخر ، ذلك التكنيك الذى يرتبط بشكل وثيق بمستوى تطور وسائل الانتاج والمواصلات · كما تباين مفهوم وتعريف الاستراتيجية لدى كل قائد أو مفكر عسكرى او سياسى، وفقا لتباين المدارس الفكرية والفلسفية العامة التى ينتمى اليها كل قائد او مفكر ممن تعرضوا لهذا الموضوع · ومن هنا تنبع الصعوبة البالغة فى تقديم تعريف جامع مانع لكلمة استراتيجية ، لانه لايوجد تعريف موحد متفق عليه فى أى عصر من العصور حتى يومنا هذا ، خاصة وأن النظرة الفلسفية والسياسية العامة تؤثر الى حد كبير فى تحديد مفهوم الاستراتيجية وتوصيح مغزاها ومجال أعمالها أو استخدامها · ولما كانت هذه النظرة تختلف اختلافا كبيرا بين الافراد وبعضهم البعض والطبقات والدول المختلفة وبعضها البعض تبعا لاختلاف وتباين المصالح الاقتصادية والاهداف السياسية لكل ، كان من المنطقى تماما أن ينعكس هذا الموقف السياسى والفكرى فى مجال الاستراتيجية، الامر الذى ترتب عليه عدم وجود تعريف موحد ومفهوم متفق عليه بالنسبة لها ، مثلها فى ذلك أيضا مثل كلمة الفلسفة ، التى لم يتوفر لها هى الاخرى حتى الان تعريف موحد أو تحديد متفق عليه لمفهومها ·

ومن خلال استقراء أبرز التعريفات التى قدمتها مدارس الفكر العسكرى الحديث لعلم الاستراتيجية ، وربطها بحقائق العصر المتعلقة بعالم الحرب والسياسة والاقتصاد ، سنحاول أن نحدد التعريف المناسب لهذا العلم الذى لم يكتسب بعد صفة الاستقرار الموضوعى النسبى الذى تتمتع به العلوم الطبيعية ، مثله فى ذلك مثل معظم العلوم الاجتماعية الاخرى ، التى ما زالت محلا لاختلاف الاراء والعقائد الفكرية والمصالح الطبقية والسياسية المختلفة · لقد اشتقت كلمة استراتيجية ، أى « Strategy » أصلا من الكلمة اليونانية « Stretegos » التى كانت تعنى فن قيادة القوات ، وهو فن مارسه بمهارة بعض القادة القدماء من أمثال **الاسكندر المقدونى وهانيبال ويوليوس قيصر** دون أن يدونوا خبرتهم عنه فى صياغات مكتوبة تحدد للحرب قوانين معينة، ولهذا ساد اعتقاد كبير لفترة طويلة من الزمن بأن الاستراتيجية مجرد فن يمارسه القادة الموهوبون عن حدس وعبقرية خاصة فحسب دون وجود أو امكان وجود أى قواعد قياسية للحرب ، وبالتالى لا يمكن أن تكون علما له قواعده ونظرياته الخاصة . ولكن منذ منتصف القرن الثامن عشر تقريبا ، أى مع مقدمات عصر الثورة الفرنسية فى أوروبا ، عصر تقدم قوى الانتاج الصناعى وازدهار العلوم الطبيعية وسيادة الفلسفة العقلية على الفكر الاوروبى الداعى الى التحرر من قيود الاقطاع ، بدأت دراسة الحرب على أسس علمية وبدأت محاولات وضع تعريفات علمية للاستراتيجية والتكتيك ، وتطورت ايضا وسائل القتال وتنظيم الجيوش ، وكان نابليون

جومينى :

Jomini (١٧٧٩ — ١٨٦٩) :

ولد انطوان هنرى جومينى فى الجزء الفرنسى من سويسرا فى أسرة بورجوازية تعمل فى التجارة والمصارف ، ثم التحق بالعمل باحد مصارف باريس فى اواخر القرن الثامن عشر ورشحته خبرته الادارية وميوله العسكرية واعجابه بنابليون الى الالتحاق — بشكل غير رسمى وبغير أجر — بعمل فى ادارة التموين بالجيش الفرنسى والتى كانت تابعة حينئذ لهيئة أركان حرب الجيش ثم اصبح رئيسا لاركان حرب الماريشال « ناى » — أحد كبار مساعدى نابليون — أثناء معركة « اوسترلو » . وقد نشر بمعاونة « ناى » اول مجلدات تاريخه العسكرى الذى تناول فيه حملات فردريك الاكبر وقارن بينه وبين « نابليون » فى فن القيادة ، وقد اطلع « نابليون » من خلال « ناى » على الكتاب وأبدى اعجابه بالمؤلف ، الذى منح نتيجة لذلك رتبة « كولونيل » فى الجيش الفرنسى عام ١٨٠٦ . وقد اشترك « جومينى » فى معظم حملات « نابليون » بعد ذلك حتى حملة روسيا عام ١٨١٢ كرئيس لاركان حرب « ناى » ولكنه لم يرق الى رتبة أعلى من قائد لواء ولم ينل قيادة مستقله ، ولذلك نجا الى روسيا عام ١٨١٣ حيث منح رتبة جنرال وعمل مستشارا عسكريا . وهناك وجد الفرصة للتفرغ للتاليف فى التاريخ العسكرى والاستراتيجية وفن الحرب عموما ، وقد عاش متنقلا بين روسيا وفرنسا، وحين مات عام ١٨٦٩ كانت كتبه مستخدمة فى جميع الدراسات العسكرية فى العالم . وأهم كتبه هو « دراسة موجزة فى فن الحرب » وقد صدر فى مجلدين ونشر عام ١٨٣٨ .

وحروبه الطويلة الحديثة الاساليب ، والتى أحدثت ثورة كبرى فى فن الحرب وقتئذ ، هو نتاج هذا التطور التكنيكى والاقتصادى والسياسى . ولكن نابليون نفسه لم يترك كتابات علمية بالمعنى المعروف عن الاستراتيجية أو التكتيك ، وانما ترك مجموعة من « الحكم » العسكرية العامة التى لا تشكل نظرية واضحة المعالم .

وقد تصدى لشرح استراتيجية نابليون وأساليبه فى القتال واستنباط القواعد القياسية المستفادة من خبراته العملية كاتبان عسكريان ، قدر لهما أن يصبحا مؤسسا العلوم العسكرية الحديثة ، هما « **جومينى** » الضابط السويسرى الاصل الذى عمل فى بداية حياته كضابط أركان حرب فى جيش نابليون ، و « **كلاوزفيتز** » الضابط البروسى الشهير الذى شارك فى القتال ضد نابليون كضابط أركان حرب فى الجيش البروسى والروسى .

ولكن « جومينى » لم يقدم تعريفا محددا للاستراتيجية ، وانما قام بتحديد بعض مبادىء الاستراتيجية الاساسية موضحا أن « هذه المبادىء الاساسية هى التى تتوقف عليها النتائج الحسنة فى الحرب فى كل الاوقات .. » وأن « العقل البشرى يستطيع أن يوجد وأن يقدم بصورة منطقية الوسائل التى تمكن من النجاح فى الحرب » . (٢) أما « كلاوزفيتز » فقد عرف الاستراتيجية بأنها « نظرية استخدام المعارك كوسيلة للوصول الى هدف الحرب » (٣) وكان يقصد بذلك التعريف الاعتراض على التفرقة التى أوجدها بعض الكتاب بين الاستراتيجية والتكتيك ، واعتبارهم ان مجال الاستراتيجية هو التحركات العسكرية التى تتم خارج مدى رؤية العدو ، او كما يعرفها احد الكتاب المحدثون وهو « **فردريك موريس** » بأنها « أساليب قيادة الجنود حتى يتم الاتصال مع العدو » ليفرقها عن التكتيك الذى يعرفه بأنه « أساليب استخدام القوات المتصلة بالعدو » (٤) .

والواقع ان « كلاوزفيتز » قد وضع هذا التعريف للاستراتيجية فى ضوء مفهومه الاساسى عن الحرب من حيث أنها « **استمرار للسياسة بوسائل أخرى** » وأن « الاهداف السياسية هى النهاية ، والحرب هى الوسيلة ولا يمكن أن تحقق الوسائل أغراضها بدون الوصول الى النهاية » . (٥) أى أنه كان يرى ان الاستراتيجية هى النظرية التى تدار بها المعارك فى صورتها العامة لتحقيق الهدف السياسى للحرب ، وهو بذلك المعنى يكون قد ربط ربطا وثيقا بين الاستراتيجية العسكرية والسياسة العامة للحرب ، الامر الذى دفع بعض الكتاب المحدثون فى الاستراتيجية الى القول بأن كلاوزفيتز قد خلط بهذا التعريف بين الاستراتيجية العسكرية والاستراتيجية العليا أو الاستراتيجية الشاملة للدولة . وقد قدم القائد البروسى « **مولتكه** » ـ وهو المنفذ العسكرى لسياسة « **بسمارك** » ـ التعريف التالى للاستراتيجية فقال « انها اجراء الملائمة العملية للوسائل الموضوعة تحت تصرف القائد الى الهدف المطلوب » (٦) . وهو بذلك التعريف يكون قد ابتعد بالاستراتيجية العسكرية عن مجال السياسة العامة للدولة وقصر مجالها على الاستخدام الامثل للوسائل العسكرية المتاحة للقائد لتنفيذ الهدف السياسى الموضوع من قبل الدولة للحرب . هذا وقد اعتبر « مولتكه » أن القواعد النظرية العامة للاستراتيجية ليست لها غير قيمة نسبية ، لان كل موقف يتطلب تفهما للظروف المحيطة به « كما يتطلب حلا تتجمع فيه التجربة والمعرفة والجرأة والتصور » (٧) ، وان ذلك هو الدرس الاساسى الذى يمكن استنباطه من دراسة التاريخ العسكرى . ولهذا اعتبر دراسة التاريخ العسكرى من ألزم وأهم الدراسات بالنسبة للضباط ، وجعل الاشراف عليها من مسئولية هيئة أركان الحرب البروسية دون الاقسام التابعة لها .

أما الكاتب والناقد العسكرى البريطانى الشهير « **ليدل هارت** » فقد عاب على تعريف « كلاوزفيتز » للاستراتيجية أنه يدخلها فى مجال السياسة ، اى « فى اعلى مستوى لقيادة الحرب » وهى أمور لا تتعلق بعمل القادة العسكريين الذين تستخدمهم الدولة ليقوموا بادارة العمليات وتنفيذها ، كما أنه يعيب عليه تحديده لمعنى الاستراتيجية فيما يتعلق باستخدام المعارك فقط ، ثم قدم تعريفه الخاص للاستراتيجية فقال أنها « فن توزيع واستخدام مختلف الوسائل العسكرية لتحقيق هدف السياسة » (٨) ، وهو يعتقد أن الهدف من الاستراتيجية ليس هو البحث

---

(٢) ادوارد مدايرل ـ رواد الاستراتيجية الحديثة ـ الترجمة العربية ـ القاهرة ١٩٥٦ ـ الجزء الاول ـ صفحة ٢٩١ .

(٣) فى الحرب ـ الجزء الاول ـ الكتاب الثالث ـ الفصل الاول ـ صفحة ١٨١ .

(٤) رواد الاستراتيجية الحديثة ـ الجزء الاول ـ صفحة ٣٥٥ .

(٥) المرجع السابق ـ صفحة ٣٦٠ .

(٦) ليدل هارت ـ الاستراتيجية وتاريخها فى العالم ـ الترجمة العربية ـ بيروت ١٩٦٧ ـ صفحة ٣٩٧ .

(٧) رواد الاستراتيجية الحديثة ـ الجزء الثانى ـ صفحة ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٨) الاستراتيجية وتاريخها فى العالم ـ صفحات ٣٩٩ ، ٤٢٩ .

كلاوزفيتز :

«Von Clausevitz» (١٧٨٠ — ١٨٣١) جنرال بروسى وأشهر مفكر عسكرى خلال القرن التاسع عشر ، بل انه اكثر الكتاب العسكريين تأثيرا على معظم القادة حتى الان . اشترك فى حروب بروسيا ضد « نابليون » ووقع فى الاسر عام ١٨٠٦ وبعد ان أمضى عاما فى فرنسا وسويسرا عاد الى بروسيا حيث ساهم مع « شار نهورست » — وزير الحربية البروسى الذى نظم هيئة اركان الحرب البروسية الشهيرة — ثم التحق بالجيش الروسى كأحد البروسيين الاحرار فى ١٨١١ بعد ان ارغمت بروسيا على التعاون العسكرى مع « نابليون »، ثم عاد كرئيس أركان حرب فيلق فى الجيش البروسى بعد هزيمة « نابليون » الاولى واشترك فى معركتى « لينى » و « واڤر » فى عام ١٨١٥ ، ثم تولى ادارة الاكاديمية العسكرية فى برلين من عام ١٨١٨ حتى ١٨٣٠ ، وقد مات عام ١٨٣١ نتيجة اصابته بوباء الكوليرا .

وقد طبعت مؤلفاته فى ١٠ مجلدات صدرت كلها بعد وفاته ، وأهمها هو كتابه المشهور « فى الحرب » الذى علق عليه « انجلز » فى عام ١٨٥٧ بقوله « انه يقدم أسلوبا عجيبا من الناحية الفلسفية ولكنه من الناحية الموضوعية كتاب جيد جدا » . كما اعجب « لينين » بقول « كلاوزفيتز » من ان « الحرب استمرار للسياسة بوسائل أخرى » وقال فى كتابه « الاشتراكية والحرب » « ان هذه الكلمة المأثورة انما قالها « كلاوزفيتز » وهو من اعمق الكتاب فى القضايا العسكرية . وقد اعتبر الماركسيون بحق دائما هذه الفكرة اساسا نظريا للمفاهيم حول صفة كل حرب معنية » . وقد انتقده المفكرون العسكريون من دعاة الاستراتيجية غير المباشرة مثل « ليدل هارت » لقوله « اننا لا نحب ان نسمع عن قادة ينتصرون دون سفك الدماء ، واذا كانت المعارك الدامية مخيفة المنظر فان هذا يجب ان يكون السبب فى ان نقدر الحرب حق قدرها » ولقوله « ان تدمير قوة العدو المسلحة يعتبر دائما انه الوسيلة الافضل والاكبر تأثيرا .. ان الحل الدامى أى الجهد الذى يبذل لتدمير قوة العدو هو المولود الاول للحرب » . وذلك على اساس أنه جعل من المعركة الهدف الوحيد للاستراتيجية الامر الذى دفع قادة الالمان والحلفاء خلال الحرب العالمية الاولى الى التضحية بأرواح الكثير من الجنود فى معارك افناء غير مجدية .

عن المعركة « بل البحث عن وضع استراتيجى ملائم ان لم يؤد بنفسه الى النصر خلق ظروفا ملائمة لمعركة تأتى بعده وتنتزع النصر حتما » .

ويعرف « ريمون آرون » الاستراتيجية بقوله « فلنقل ان الاستراتيجية هى قيادة مجمل العمليات العسكرية » (٩) . وينقد الجنرال « أندريه بوفر » كلا من تعريفى « ليدل هارت » و « ريمون آرون » باعتبار أنهما لا يتعلقان الا بالقوى العسكرية كوسيلة وحيدة لتحقيق الاستراتيجية مع أن هناك وسائل أخرى فى ظروف معينة تؤدى الى تحقيق هدف الاستراتيجية دون استخدام القوة العسكرية بشكل مباشر ، ثم يقدم تعريفه الخاص للاستراتيجية فيقول « اننى أعتقد أن روح الاستراتيجية كامنة كما قال فوش فى اللعبة المجردة الناجمة عن تعارض ارادتين ، انها الفن الذى يسمح بعيدا عن كل تكنولوجيا ، بالسيطرة على معضلات كل صراع ، حتى يسمح باستخدام التكنولوجيا بأقصى فاعلية ممكنة، انها اذن فن حوار القوى أو بالاحرى فن حوار الارادات التى تستخدم القوة لحل خلافاتها » . (١٠)

ويقدم « ماوتسى تونج » التعريف التالى للاستراتيجية فيقول « حيثما كانت حرب ، يوجد وضع كلى للحرب . وقد يشمل الوضع الكلى للحرب العالم بأسره أو قطرا بأكمله ، أو منطقة مستقلة لحرب العصابات ، أو جبهة مستقلة كبرى للعمليات العسكرية . وكل وضع حربى يجب أن تؤخذ فيه بعين الاعتبار مختلف الجوانب والمراحل يعتبر وضعا كليا للحرب . وان دراسة القوانين الموجهة للحرب والتى تتحكم فى وضع الحرب الكلى ، هى مهمة علم الاستراتيجية » (١١) .

أما فى الولايات المتحدة الامريكية فقد تم تحديد مفهوم الاستراتيجية، بواسطة هيئة أركان حرب القوات المسلحة فى عام ١٩٥٩، على أنها « فن وعلم استخدام القوات المسلحة للدولة بغرض تحقيق أهداف السياسة القومية عن طريق استخدام القوة أو التهديد باستخدامها » (١٢) .

وقدم المارشال « سوكولوفسكى » وبقية مؤلفى كتاب « الاستراتيجية الحربية السوفييتية » تعريفا مطولا للاستراتيجية نقتطف منه العبارات التالية : « الاستراتيجة الحربية عبارة عن نظام المعلومات العلمية عن القواعد القياسية للحرب كصراع مسلح يخدم مصالح طبقية معينة . وعلى أساس دراسة خبرة الحروب ، والموقف العسكرى السياسى ، والامكانيات الاقتصادية والمعنوية للدولة ، والوسائل الجديدة للصراع المسلح ونظرات العدو المحتملة ، تقوم الاستراتيجية

---

(٩) أورده أكرم ديرى والهيثم الايوبى فى كتابهما « نحو استراتيجية عربية جديدة » — بيروت ١٩٦٩ — صفحة ٢٢ .

(١٠) بوفر — المرجع السابق — صفحة ٢٩ .

(١١) قضايا الاستراتيجية — المؤلفات المختارة مجلد ١ — بكين ١٩٦٨ — صفحة ٢٦٩ .

(١٢) أورده مؤلفو كتاب « الاستراتيجية السوفييتية » — الترجمة العربية — القاهرة ١٩٦٩ — صفحة ٨٩ .

بدراسة احوال وطبيعة الحرب المقبلة ، وفي الوقت نفسه هي ميدان النشاط العملي للقيادة السياسية العسكرية العليا، والقيادة العسكرية العليا، والرياسات العليا المختلفة، التي تهدف الى فن تجهيز الدولة والقوات المسلحة للحرب وادارة الصراع المسلح في ظروف تاريخية معينة » (١٣) .

ومن الواضح أن أكثر الجوانب بروزا في مختلف التعريفات السابق ذكرها للاستراتيجية ، والذى يمكن أن نعتبره قاسما مشتركا أعظم بينها جميعا، هو أن مفهوم كلمة الاستراتيجية ينصرف الى الخطط والوسائل والتصرفات أو القرارات التى تعالج الوضع العام أو الكلى للصراع الذى تستخدم فيه القوة بشكل مباشر أو غير مباشر من أجل تحقيق هدف أو أهداف سياسية معينة يتعذر تحقيقها عن غير ذلك السبيل . وأن الاختلافات بين التعريفات المذكورة يتعلق معظمها بمدى صلة القيادة العسكرية التى تضع وتنفذ الخطة الاستراتيجية بالسياسة العامة للدولة التى تقف وراء الاستراتيجية وتحدد أهدافها . وعموما ستتضح لنا فيما بعد الابعاد الحقيقية لكل تعريف من هذه التعريفات ، والطبيعة الحقيقية للاستراتيجية ، بعد أن نتناول بالدراسة مختلف الجوانب الاخرى للموضوع. ونكتفى الان أن نقرر أن تعريف كل من « ريمون آرون » و « ماوتسى تونج » هما أقرب التعريفات الى الوضوح والبساطة وايجاز المعنى العام للاستراتيجية الذى لا يختلف عليه الجميع من حيث معالجتها لما هو كلى فى الصراع المسلح ، وعلى وجه الخصوص تعريف « ماو » القائل بأن « الاستراتيجية هى دراسة قوانين الوضع الكلى للحرب » . هذا ويستند كل من التعريفين الصينى والسوفيتى الى فكرة « كلاوزفيتز » عن ارتباط الحرب بالسياسة، وذلك بحكم اعجاب كل من « انجلز » و « لينين » بكتاب كلاوزفيتز « On war » « فى الحرب » ، وقد علق « لينين » على عبارة « كلاوزفيتز » الشهيرة القائلة « الحرب هى استمرار للسياسة بوسائل أخرى » بقوله « السياسة هى الفكر أما الحرب فهى الوسيلة فقط وليست عكس ذلك » (١٤) ولذلك نلمس فى التعريف السوفييتى حرصه على تأكيد وحدة القيادة العسكرية والسياسية العليا عند وضع وممارسة الاستراتيجية الحربية ، وحرصه أيضا على تقدير العوامل الاقتصادية والمعنوية عند وضع الخطة الاستراتيجية .

هدف الاستراتيجية : تهدف الاستراتيجية الى الوصول للاهداف التى حددتها السياسة بأفضل استخدام ممكن للوسائل العسكرية المتاحة . بمعنى أن الاستراتيجية انما تهدف الى تحقيق نتيجة حاسمة فى حل التناقض السياسى الذى أوجد الصراع القائم أصلا ودفع به الى ذروته . وفى هذا الصدد يقول « **أندريه بوفر** » « النتيجة الحاسمة فى حوار الارادات حدث نفسى نريد وقوعه عند العدو ليدفعه الى الاقتناع بأن الاشتباك أو متابعة الصراع أمر غير مجد . ويمكن الوصول الى هذه النتيجة بالنصر العسكرى ، ولكن ليس هذا النصر ضروريا دائما ، وهو فى بعض الحالات صعب أو غير ممكن . . ويتم الوصول الى النتيجة الحاسمة بخلق واستغلال وضع يؤدى الى تفتت معنويات الخصم بشكل كاف يجبره على قبول الشروط المفروضة . وهنا تكمن كما نرى الفكرة الاساسية لحوار الارادات » . (١٥)

وبدون تحقيق مثل هذه النتيجة الحاسمة ، المتمثلة فى تفتيت العدو على المستوى الاستراتيجى العام ماديا ومعنويا الى حد ارغامه على قبول الشروط المفروضة عليه والتى تحسم حل التناقض السياسى مصدر النزاع أو الصراع المسلح ، فان الاستراتيجية العسكرية تعتبر أنها لم تحقق هدفها الاساسى وغايتها الجوهرية . وعلى هذا الاساس يمكن لنا أن نعتبر أن الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية مثلا ، لم تحقق هدفها الرئيسى من اشعال الحرب مع العرب فى الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، وأن الاستراتيجية العسكرية الامريكية قد فشلت فى تحقيق الهدف من حرب فيتنام رغم أن القوات الامريكية لم تهزم هناك بعد ، هزيمة عسكرية بالمعنى المعروف .

قواعد الاستراتيجية : يقول « جومينى » ان الحرب مأساة كبرى تعمل فيها آلاف العوامل المعنوية والمادية بقوة كبيرة أو صغيرة ولكن لا يمكن تخفيض هذه القوة بواسطة العمليات الحسابية . . ولكنى يجب أن أقول بأن تجارب عشرين سنة قد قوت عندى الاحكام التالية ، هناك عدد قليل من المبادىء والاصول الاساسية للحرب والتى يكون اغفالها من الخطورة بمكان . كما أن تطبيقها أو اتباعها كان من ناحية أخرى سببا النجاح فى كل حالة » . (١٦)

---

(١٣) المرجع السابق — صفحة ٣٠ .
(١٤) الاستراتيجية السوفيتية — المرجع السابق — صفحة ٣٦ .
(١٥) بوفر — المرجع السابق — صفحة ٣٠ .
(١٦) نص أورده كتاب — « رواد الاستراتيجية الحديثة » — الجزء الاول — صفحة ٢٩٣ ، ٢٩٠ ، ٣١٥ ، ٢٩٦ .

ليدل هارت :

«Sir Basil Liddell Hart»

كاتب عسكرى بريطانى معاصر اشترك فى الحرب العالمية الاولى كضابط فى المشاة برتبة كابتن ـ نقيب ـ ثم أحيل الى الاستيداع بعد انتهاء الحرب وعمل بالكتابة فى الشئون العسكرية منذ عام ١٩٢٠ تقريبا حتى يومنا هذا ، وقد أضحى أشهر وأقدر كاتب عسكرى فى بريطانيا، بل ربما فى العالم الغربى كله . وقد تأثر فى بداية حياته الفكرية بالجنرال « فوللر » رئيس أركان حرب فيلق الدبابات البريطانى عام ١٩١٨ والذى دعا دائما فى كتبه التى بلغ عددها نحو ١٠٠ كتاب الى فكرةالحرب الميكانيكيةواستخدام المدرعات على نطاق واسع . وقد قدم « ليدل هارت » منذ عام ١٩٢٠ فكرة الحرب الخاطفة التى تعتمد على الاستخدام الواسع للمدرعات والطيران ثم طور فكرة استراتيجية الهجوم غير المباشر وربط بين الفكرتين . وقد رفضت أفكاره هو وفوللر فى بريطانيا ولكنها طبقت فى المانيا بواسطةالجنرال « جوديريان » و « فونسيكت» و « روميل » الذين اهتموا بنظريات هـذين الكاتبين اهتماما كبيرا وأشاروا الى ذلك مرارا فى مذكراتهم . أشهر كتبه هو « الاستراتيجية وتاريخها فى العالم » الذى عرض فيه بتفصيل بارع نظريته عن « الاقتراب غير المباشر » .

وهكذا وقف « جومينى » باعتباره أحد أقطاب الفكر العسكرى فى عصر الثورة الفـرنسية ونابليون ، فى وجه كل الاراء الغيبية السابقة التى كانت تعارض أى محاولات لاخضاع الحـرب للدراسة المنطقية ، تلك الاراء التى عبر عنهـا الماريشال الفرنسى « **دى ساكس** » فى منتصف القرن الثامن عشر بقوله أن « الحرب علم تغطية الظلمة الحالكة ، وفى وسط هذه الظلمة لا يستطيع الانسان السير بقدم ثابتة ، ان لكل العلوم أصولا ومبادىء كثيرة ، ولكن لا شىء مـن هـذا للحرب » (١٦) !

وقد كان جومينى هو أول من أوضح أن حملات ومعارك نابليون التـى أذهلت الفكر العسكرى التقليدى وقتئذ ، انما قامت على أساس تطبيق قواعد رئيسية للحرب مستقاة من الاستقراء الجيد لخبرات التاريخ العسكرى ، وأن عبقرية نابليون انما تكمن فى كيفية استخدام هذه القواعد بنجاح وبطريقة تتفق والتطورات الحديثة فى التسليح والتنظيـم العسكرى وادراك أهميـة العنصر المعنوى . فبينما اعتبر «كلاوزفيتز » ان نابليون هو اله الحرب العبقرى الذى يضع الاسس والرجل الذى يرسم الاصول » نجد أن « جومينى » « قد قدم نابليون على انه الآلة التى مكنت هذه الاصول من أن تلعب دورها بنجاح » (١٦) . هـذا وقد امتـدح « نابليون » نفسـه كتـابات « جومينى » موضحا أنها انما تقدم المبادىء الاساسية فحسب ، تاركة المجال لعبقرية الفرد لتعمل وفقا لما لها من مقدرة ولغاية . هذا ويمكن تلخيص قـواعد الاستراتيجية التى استنبطها « جومينى » فـى النقاط الاربع التالية :

● حشد القوى الرئيسية لضرب خطـوط مواصلات العدو والمناطق الاستراتيجية الحاسمة دون أن تتعرض مواصلاتنا نحن فى نفس الوقت للخطر .

● المناورة الاسـتراتيجية بهدف تركيز قوة كبيرة لضرب أجزاء صغيرة من قوات العدو فى كل مرة لسحقها .

● المناورة التكتيكية فى مسرح المعركة نفسها من أجل تركيز القوى ضد المنطقة الحاسمة فى هذا المسرح .

● تنظيم اجراءات الحشد ، وتجميع القوى ليس فقط فى المكان الحاسم ، وانما بشرط ان تشترك هذه الحشود فى المعركة مجتمعة وبسرعة، وبذلك فانهـا تسـتطيع القيـام بجهـد مزدوج فى وقت واحد . والفكرة الرئيسية فى هذه القواعد هى قطع وتهديد خطوط المواصلات وحشد أكبر قوى ممكنة فى توقيت موحد ضد النقط الحاسمة ، وبحيث يكون هناك تفوق محلى فى كل مرة يتم فيها الاشتباك ، الامر الذى يتطلب فى رأى جومينى اختيار خط العمليات الصحيح الذى يجب ان يعتبر القاعدة الاساسية للتخطيط الجيد للحملة ، وبالتبعية فأنه مركز وقلب كل النظريات العسكرية » (١٦) .

أما «كلاوزفيتز» فقد قدم مجموعة من القواعد الاستراتيجية الرئيسية تتلخص فى المبادىء الثلاثة الاتية : ١ ـ حشد القوى. ٢ ـ عمل القوى ضد القوى ٣ ـ الحل الحاسم بالمعركة فى الحقل الرئيسى عن طريق معركة دفاعية هجومية [١٧] وذلك وفقا لاسلوب «نابليون» الذى قال فى احدى حكمه الشهيرة « فن الحرب عبـارة عن دفاع مدروس وحذر جدا يعقبه هجوم سريع وجرىء »

وقد عبر «كلاوزفيتز» نفسه عن خلاصة قواعده بقوله « أحسن استراتيجية هى أن تكون قويا جدا من ناحية عامة أولا ثم أن تكون كذلك علـى التخصيص فـى النقطـة الحـاسمة » (١٨)

---

(١٦) المرجع السابق

(١٧) أوردها مؤلفا كتاب ـ « نحو استراتيجية عربيةجديدة » ـ المرجع السابق ـ صفحة ٢٧ .

(١٨) اوردها « هانز روسـفيلز » فى كتاب « روادالاستراتيجيةالحديثة» ـ الجزء الاول ـ صفحة ٢٦٨ ، ٢٧٨

وبقوله « ان الهجوم السريع العنيف مثله مثل بريق السيف المصقول ، وبهذا فهو المع نقطة فى العملية الدفاعية » (١٨) . وقد لخص الماريشال الفرنسى « فوشى » - الذى تولى القيادة العامة لقوات الحلفاء فى فرنسا خلال المراحل الاخيرة من الحرب العالمية الاولى - مبادىء الاستراتيجية فى مبدأين اثنين رئيسيين هما :

- المحافظة على حرية العمل .
- الاقتصاد فى القوى .

ويشرح الجنرال « **أندريه بوفر** » هذين المبدأين فيقول « يمكننا أن نكتشف فى كل استراتيجية عنصرين واضحين متباينين رئيسيين هما :

- اختيار النقطة الحساسة الحاسمة الواجب بلوغها ، حسب تكوين الخصم ونقاط ضعفه .
- اختيار المناورة التحضيرية الرامية الى بلوغ هذه النقطة . ويحاول كلا الخصمين القيام بهذا العمل ، وتتعارض مناورتاهما التحضيريتان ، ثم ينتصر من يعرف كيف يمنع مناورة عدوه ويسير بمناورته الى هدفها . وهذا ما يسميه « فوشى » فى الاستراتيجية التقليدية « المحافظة على حرية العمل » وينقلب صراع الارادات الى صراع من أجل حرية العمل .. وعلى القائد أن يعرف كيف يوزع قواته ووسائله بشكل معقول لتحقيق ما يلى :

- الحماية ضد مناورة العدو التحضيرية .
- تأمين مناورته التحضيرية الذاتية .
- القيام بالعمل الحاسم ، وتسمى الاستراتيجية التقليدية هذا التوزيع الامثل : الاقتصاد بالقوى ، وهكذا يؤدى تحليل مخطط الصراع المصاغ بجمل مجردة الى اعادة تركيب القانون التالى : يجب الوصول الى النقطة المعادية الحساسة الحاسمة بفضل حرية العمل التى يتم الحصول عليها باقتصاد جيد للقوى » (١٩) .

أما « **ليدل هارت** » فيقدم ست قواعد ايجابية وقاعدتين سلبيتين وفقا لنظريته الشهيرة « استراتيجية الاقتراب غير المباشر » ، والقواعد الايجابية هى :

- مطابقة الهدف مع الامكانيات .
- عدم اضاعة الهدف ومتابعة الجهد .
- اختيار الخط الاقل توقعا .
- استثمار خط المقاومة الاضعف .
- أخذ خط عمليات يؤدى الى أهداف متناوبة .
- المرونة فى المخطط والتشكيل بحيث يتلاءمان مع الظروف .

أما القواعد السلبية فهى :

- عدم الزج بكل الامكانيات اذا كان العدو محترسا .
- عدم تجديد الهجوم على نفس الخط أو بنفس الشكل بعد فشل الهجوم السابق (١٩) .

والفكرة الرئيسية فى هذه القواعد هى اجبار الخصم على بعثرة قواته بواسطة اقتراب غير مباشر والمفاجأة عن طريق عمل غير منتظر ، وحشد القوى ضد المراكز الضعيفة ، والبحث عن الحل الحاسم فى مسارح العمليات الثانوية اذا كان ذلك ممكنا .

ويعلق « ليدل هارت » على قواعده الاستراتيجية هذه بقوله « وتدل هذه المبادىء على أنه ينبغى لتحقيق حل مشكلتين هامتين هما ، تفتيت قوات العدو ، ثم استثمار هذا العمل . ومن المتعذر عليكم ضرب العدو بشكل فعال قبل أن تمهدوا لذلك بخلق ظروف ملائمة لتحقيق هذا العمل . ولا يمكن أن تصبح الضربة حاسمة الا اذا استطعتم استثمار الفرصة الجديدة قبل أن يسترد العدو وعيه » (١٩) .

أندريه بوفر :

«André Beaufre» جنرال فرنسى معاصر اشترك فى الحرب العالمية الثانية ثم عمل مساعدا للماريشال « دولاتردوتاسينى » احد قادة الجيش الفرنسى اثناء حرب التسع سنوات فى فيتنام . ثم عين رئيسا لهيئة الدراسات التكتيكية بحلف الاطلنطى ، واشترك بعد ذلك فى عام ١٩٥٥ فى حرب الجزائر كقائد منطقة عمليات ، ثم تولى قيادة الفيلق الفرنسى فى العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، وتولى بعد ذلك منصب رئيس الاركان العامة فى قيادة حلف الاطلنطى ، وكان آخر مناصبه الرسمية هو تمثيل فرنسا فى هيئة قيادة الحلف الدائمة فى واشنطن . وقد أصدر بعد تقاعده كتابا هاما فى عام ١٩٦٥ بعنوان «مدخل الى الاستراتيجية» قدمه « ليدل هارت » بقوله انه اكثر الابحاث الاستراتيجية التى ظهرت فى هذا العصر كمالا ودقة وتماسكا » . والكتاب يهدف الى دراسة الاستراتيجية بطريقة شبه رياضية ومنطقية لارشاد الدول الغربية عن اخطائها فى الاستراتيجية التى يعتقد الكاتب انها سبب الهزائم التى لحقتها فى فيتنام والجزائر ومصر !

---

(١٨) بوفر - المرجع السابق - صفحة ٤٩ .
(١٩) ليدل هيارت - المرجع السابق - صفحة ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ .

هذا ويوضح « ليدل هـارت » فـى كتـابه عن « الاستراتيجية وتاريخها فى العـالم » أنه استنبط قـواعد نظـرية « الاقتراب غيـر المبـاشر Strategy of indirect approch مـن استقراء تاريخ الحروب الحاسمة النتائج منذ الحروب اليونانية القديمة حتى الحرب العالمية الثانية .

وقد كان هذا النموذج من الاستراتيجية يعرف من قبل فى المصطلحات الاستراتيجية التقليدية باسم « المناورة ذات الطابع الجغرافى » نظـرا لطابعها غير المباشر فى الاقتراب من الهـدف الاستراتيجى المطلوب . وتهدف هذه المناورة الى الالتفاف الاستراتيجى حول مجنبة الخصم للوصول الى مؤخرته وتجنب كل مقاومة فعالة ممكنة خلال تنفيذ هذه الحركة وبعد انتهائها ايضا ، ولذلك فهى تسلك أقل سبل التقدم مقاومة ، أى تسلك خط التقدم الاقل توقعا من جانب الخصم . وبطبيعة الحال لا يقصد « ليدل هارت » أن يقول بأن أى سير مباشر نحو مؤخرة العدو يشكل هجوما استراتيجيا غير مباشر ، لان الاستراتيجية المذكورة ليست على هذا النحو من البساطة ، وانما من الضرورى قبل ذلك القيام بهجمات تضليلية فى مناطق مختلفة قبل القيام بالهجوم الرئيسى غير المباشر ، وذلك حتى يمكن تأمين أفضل ظروف النجاح لمثل هذا الهجوم عن طريق هذا التشتيت لانتباه العدو ودفعه الى توزيع قواه على عدة مراكز أو توجيهها نحو أهداف عقيمة ، بحيث يتعذر عليه أن يحشد القوى الكافية فى الوقت المناسب للتأثير بحسم على نتيجة المناورة غير المباشرة ، ويفقد بذلك حرية العمل ويمتنع عليه عملا نتيجة لكل هذا تغيير اتجاه عملياته الرئيسية خلال المعركة الحماسية .

هذا ويعلق « **بوفر** » على هذه الاسـتراتيجية فيقول « والواقع أن مناورة الاقتراب غير المباشر هى وسيلة تفرض نفسها على أحد الخصمين المتنازعين اذا كان لا يثق ثقة تامة بانه من القوة بحيث يستطيع التغلب على خصمه فى معركة تنشب على أرض يختارها عدوه .. ولقد كان « ليدل هارت » على حق فى معظم الحالات التى ذكرها ، الا أنه يبقى شىء وهو أن الفكرة الرئيسية من هذا المفهوم هو قلب ميزان القوى المتجابهة قبل اختبار المعركة بالمناورة لا بالقتال . فبدلا من أن نجابه العدو مجابهة مباشرة نستعين بلعبة دقيقة نرمى من ورائها الى تعويض النقص الذى نجد انفسنا فيه بالنسبة لقوات العدو » (٢٠) .

ومما يجدر بنا ذكره بصدد قواعد استراتيجية الاقتراب غير المباشر هذه ، أن العدو الاسرائيلى يعتبرها استراتيجيته المفضلة ، ويسعى الى تطبيقها دائما خلال حروبه الثلاث ضد العرب منذ عام ١٩٤٨ . وقد أشار « ليدل هارت » نفسه الى هذه الحقيقة فى مقاله الذى علق فيه على حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ بعنوان « استراتيجية حرب » .

أما المبادىء الاستراتيجية التى يعتنقهـا السوفييت فيمكن لنا أن نلخصها من واقع تطبيقات الحرب الاهلية والحرب العالمية الثانية فى النقاط الاساسية التالية : هناك ثلاث قواعد رئيسية على مستوى الاستراتيجية الشاملة أى على المستوى السياسى وهى كما أوضحها « لينين » :

- تحقيق تلاحم معنوى كامل بين الشـعب والجيش .
- أهمية النشاط السياسى والعسكرى فـى مؤخرة العدو .
- الاعداد النفسى والسياسى للقوات قبل البدء فى القتال واثنائه .
- وذلك بحـكم أنه من الخصـائص المميزة للاستراتيجية الحربية السوفييتية تقدير العوامل الاقتصادية والسياسية والمعنوية » (٢١) .

وبالاستناد الى هذه القواعد السياسية والمعنوية تقرر الاستراتيجية السوفييتية على المستوى العسكرى المباشر القواعد التالية :

- اختيار مكان الضربة الرئيسية فى المكان الحاسم .
- تحقيق تفوق القوى فى المكان المحدد ، وذلك لانه « بالاضافة الى ايجاد حل المهمة الرئيسية للاستراتيجية بنجاح . ألا وهى تحديد المنـاطق الخطرة واختيار اتجاه الضربة الرئيسية ، فان حشد القوى والوسائل فى الاتجاه الذى تم اختياره لتوجيه الضربة الرئيسية هو الخاصية التـالية المميزة للاستراتيجية الحربية السوفييتية » (٢١) وذلك وفقا لما قاله « لينين » من « أن قانون النجاح العسكرى هو تحقيق التفوق الساحق فى القوى فى اللحظة المناسبة ، وفى المكان المناسب » (٢١) .
- تغيير شكل القتال حسب الموقف ، أى العمل بمرونة وفقا لقول « لينين » « لا يمكننا بأى حال من الاحوال فى أية مناورة استراتيجية أن نقيد أنفسنا بأية قيود ، فكل شىء يتوقف على النسبة بين القوى » (٢١) .

---

(٢٠) بوفر ـ المرجع السابق ـ صفحة ١٥٢ .
(٢١) الاستراتيجية الحربية السوفيتية ـ المرجع السابق ـ صفحة ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٢٠ ، ٢٣١ .

● تأمين احتياطى استراتيجى يكفل المحافظة على حرية العمل فى جميع الحالات التى يجتازها الصراع المسلح ، ففى حالة اتخاذ موقف الدفاع الاستراتيجى جبرا أو اختيارا يستخدم هذا الاحتياطى لمواجهة التطورات السيئة التى تنجم عن اختراق العدو الاستراتيجى للجبهة فى مكان او أكثر ، وفى حالة موقف الهجوم الاستراتيجى يستخدم هذا الاحتياطى فى دعم قوات الجبهة القائمة وفى زيادة القوة الضاربة بغرض تطوير الهجوم فى الاتجاه العام للضربة الرئيسية وفى غير ذلك من أعمال تأمين العمليات الهجومية وزيادة فاعليتها (٢١) .

● تحقيق التعاون والتنسيق بين القوات والجبهات المختلفة المشتركة فى القتال وتوحيد القيادة العليا .

● تحقيق الاستخدام الاستراتيجى المناسب لجميع أفرع القوات المسلحة من قوات برية وجوية وبحرية « اعتمادا على القاعدة القائلة بأن النصر فى الحرب يمكن الوصول اليه فقط بالعمل المشترك لجميع أفرع القوات المسلحة » (٢١) .

● تحقيق المفاجأة الاستراتيجية باتخاذ تدابير السرية والامن عند التحضير للهجوم ووضع الخطط ، وبالقيام بالهجوم فى اتجاه لا يتوقعه العدو ، وبامداد العدو بمعلومات خاطئة لخداعه عن مكان وزمان وقوة الضربة .

هذا ويلخص بعض الكتاب العسكريون قواعد الاستراتيجية التى يرونها ثابتة لا تتأثر بتغير الاجواء وتطور المعدات واستحداث التكتيكات فى المبادىء التالية : ١ ـ الحصول على المبادأة ٢ ـ تحقيق المفاجأة ٣ ـ قوة الحشد ٤ ـ خفة الحركة ٥ ـ بساطة المخطط الاستراتيجى ٦ ـ تحقيق التعاون والتنسيق ٧ ـ توحيد القيادة (٢٢) .

هذا ويعلق « بوفر » على مشكلة ثبات القواعد الاستراتيجية أيا كانت فيقول « هل تتضمن الاستراتيجية قواعد تسمح بتوجيه التفكير المؤدى الى اختيار الحلول ؟ لقد قدمت الاستراتيجية العسكرية التقليدية فى الماضى مثل هذه القواعد ، وادعت أنها تجد فيها قوانين عامة ودائمة ، تعطى الاستراتيجية ثباتا يتناقض مع التبدلات المستمرة للاساليب التكتيكية المسايرة لتطور المعدات . ولكننا نملك الان أسباب عديدة تدفعنا الى الشك بثبات الاستراتيجية . ويمكننا رغم هذا أن نعتبر ، أن القواعد هى العامل الثابت لاسلوب التفكير الاستراتيجى الذى تطوره التطبيقات العملية » (٢٣) . ويقول فى موضع آخر من كتابه « وليست الاستراتيجية فى الحقيقة عقيدة واحدة جامدة ، ولكنها أسلوب فى التفكير يسمح بتصنيف الاحداث حسب اهميتها ، واختيار اكثر الوسائل الملائمة فاعلية . فلكل موقف استراتيجية معينة تنسجم معه . وقد يكون اختيار هذه الاستراتيجية أو تلك صائبا فى ظروف معينة وغارقا فى الخطأ فى ظروف أخرى . وفى هذه الفكرة تكمن الحقيقة الاستراتيجية الاساسية » (٢٣)

والواقع أن نسبية ظروف تطبيق المبادىء الاستراتيجية المرتبطة بظروف الزمان والمكان ونوعية المعدات والاسلحة ، لا يمكن أن تعنى انعدام وجود قوانين عامة للحرب فى كل مرحلة تاريخية على الاقل ، والا لما كانت هناك جدوى من دراسة الخبرات السابقة فى التاريخ العسكرى ، الامر الذى يتعارض مع كل خبرة القادة العسكريين العظام ، فنابليون مثلا يقول فى احدى مأثوراته « اقرأ واقرأ حملات كبار القادة » ولا يمكن للاستراتيجية ان تكون علما بدون استنباط ومعرفة القوانين التاريخية للحرب ، كما أن القادة لايمكنهم وضع الخطط الاستراتيجية المستقبلة والمتعلقة باعداد الدولة لحرب مقبلة محتملة « دون الالمام بالقواعد القياسية العامة للصراع المسلح .. واستخدام هذه القواعد بنجاح عند قيادتهم للحرب .. وهنا يظهر الجانب الشخصى فى استخدام القواعد الموضوعية . وعلى ذلك فاكتشاف ودراسة قوانين الصراع المسلح لها أهمية عملية كبيرة للقيادة العسكرية عند تجهيز الاعمال الحربية على المستوى الاستراتيجى » (٢٤) . هذا « وتعتبر قوانين الاستراتيجية قوانين موضوعية تؤثر بدرجة واحدة على الطرفين المتصارعين » (٢٤) .

ان هناك بلا شك مجموعة من القواعد العامة للاستراتيجية تكتسب نوعية خاصة وفقا لظروف التطبيق المختلفة ووفقا لاختلاف وتطور طرق ادارة الحرب ، وهى وسائل وكيفية استخدام معدات وتشكيلات القتال المختلفة ، وادراك أهمية وفاعلية المخترعات الجديدة فى مختلف المجالات على مستقبل العمليات الحربية ، وتسخيرها لتنفيذ المهام الاستراتيجية والتكتيكية المطلوبة . ولذلك ترتبط طرق ادارة الحرب بمستوى التطور الاقتصادى والتكنيكى والعلمى السائد ، ولذلك

---

(٢٢) جون برر The Framwork of Battle ـ الذى ترجم بعنوان «تبسيط الاستراتيجية» ـ القاهرة١٩٥٩ ـ ص ٢٢
(٢٣) بوفر ـ مدخل الى الاستراتيجية ـ المرجع السابق ـ صفحات ٤٥ ، ١٩ .
(٢٤) الاستراتيجية الحربية السوفيتية = المرجع السابق = صفحة ٢٧ .

أيضا كان لكل عصر أو مرحلة تاريخية معينة طرقها الخاصة فى ادارة الحرب ، بغض النظر عن وجود قواعد استراتيجية عامة توالى تطبيقها فى عصور كثيرة ، وفى هذا الصدد يقول « فردريك انجلز » « ان منطق الطريقة النابوليونية لادارة الحرب حتمه النمو الذى حدث فى قوى الانتاج . وما من شك ان حتمية اية طريقة متطورة جديدة فى نظام ادارة الحرب سيكون ايضا بسبب تطور جديد فى هذه القوى » (٢٥) ، ويقول ايضا «ان الاختراعات فى ميدان التكنولوجيا سببت، وبطريقة عنيفة، وغالب ضد رغبة القيادة العسكرية ، انقلابا ، بل ثورة فى طريقة ادارة المعركة » (٢٥) . ولا تتوقف طرق ادارة الحرب ، خاصة من حيث طريقة التنظيم ومدى تقدير فاعلية العنصر المعنوى ، على مستوى تطور قوى الانتاج فحسب ، او درجة التقدم العلمى فقط ، وانما تتوقف أيضا هذه الطرق وخاصة فى تطورها وسرعة هذا التطور على نوعية البناء الاجتماعى والسياسى والفكرى للدولة . وقد أشار المؤرخ العسكرى الالمانى الشهير **«هانز ديلبروك»** الى هذه الحقيقة حين قال « ان الدوافع السياسية الجديدة التى جاءت بها الثورة الفرنسية ، قد أوجدت تكوينا جديدا للجيش ، هذا التكوين الذى أوجد بدوره تكتيكات جديدة ، ومن هنا كان من الضرورى أن تنمو استراتيجية جديدة » (٢٦) . والمقصود بالاستراتيجية الجديدة فى مثل هذه الاحوال نوعية جديدة فى تطبيق المبادىء العامة التى تكتسب أبعادا أكثر عمقا وتطورا مع كل تطور فى طرق ادارة الحرب وما يصاحبها من تطور تكنيكى وفكرى . وتتوفر هذه النوعية الجديدة المتطورة فى تطبيق المبادىء الاستراتيجية لدى القادة الافذاذ السياسيين والعسكريين وخاصة فيمن تتوافر فيهم الصفتان أمثال « نابليون » ، ويؤدى توفرها الى حصولهم على التفوق ـ ولو بصفة مؤقتة ـ نتيجة مفاجأة التطور الجديد لخصومهم . وفى هذا الصدد يقول « بوفر » « وهكذا كانت العوامل الاساسية للاستراتيجية العسكرية التقليدية هى فهم تطورات الحرب بسرعة اكبر من سرعة فهم العدو لها ، وبالتالى فهم وتوقع العوامل الجديدة . ولقد سمحت هذه العوامل بتفوق الحصون الدفاعية حينا ، والمعركة الحاسمة ، او العمليات الخاطفة الهجومية حينا آخر » (٢٧) .

هذا وتختلف طبيعة المخططات الاستراتيجية رغم وحدة المبادىء الاساسية التى تحكمها وذلك تبعا لاختلاف نوعية الوسائل العسكرية المتوفرة وظروف الزمان والمكان ، واهمية الهدف وطبيعة الظروف الدولية ومدى اتساع حقل حرية العمل العنيف ، ونتيجة لهذا التباين فى كل هذه العوامل والظروف ، قد تكون الاستراتيجية المنفذة « استراتيجية افناء وتدمير عنيف سريع » أو « استراتيجية انهاك طويل الامد » ومن هنا تنبع خطيئة الجمود القاتلة عند تصور أن هناك نوعا واحدا من الاستراتيجية واجب التطبيق فى كل الظروف مادام هذا النوع قد سبق تطبيقه بنجاح من قبل !

العلاقة بين الاستراتيجية والتكتيك :

يقول « نابليون » عن الاستراتيجية انها « علم سهل ولكن المهم هو التنفيذ » ويطرح تنفيذ الاستراتيجية عملا ضمن مايطرح من مشكلات ، مشكلة العلاقة بين الاستراتيجية والتكتيك . ان التكتيك هو وسيلة من وسائل تطبيق الاستراتيجية على مستوى ادنى أو جزئى ، وهو كما يقول « بوفر » « فن استخدام الاسلحة فى المعركة للوصول الى المردود الاقصى لها » . ومن هنا كان على التكتيك أن يتبع الاستراتيجية لا العكس . هذا ويتأثر التكتيك بدرجة كبيرة للغاية بنوع ودرجة تطور التسليح والتنظيم العسكرى للوحدات المشتركة فى القتال وهذا مايدفع الكثيرين الى فهم الفن العسكرى على انه مجرد اتقان للتكتيك وامتلاك اسلحة ومعدات قوية حديثة فحسب ، متناسين الاستراتيجية وبقية العوامل الاخرى السياسية والمعنوية والاقتصادية التى تؤثر على النتيجة النهائية فى الحرب . هذا مع أن التجربة التاريخية قد أثبتت مرارا أن الهزيمة قد تلحق جيشا كبيرا حسن المعدات جيد التدريب على المستوى التكتيكى ، بسبب استخدامه لقدراته الكبيرة هذه بطريقة سيئة استراتيجيا . ان تكتيكا ناجحا يجب أن يتم فى اطار استراتيجية ملائمة حتى يؤتى ثماره كاملة ، والاستراتيجية الناجحة لا يمكن أن تكون بدون اختيار واستخدام تكتيكات ملائمة ، لان استخدام تكتيك غير ملائم يعنى الاندفاع فى استراتيجية عقيمة غير مؤدية الى نتيجة حاسمة ، كما أنه على الاستراتيجية « أن تحدد للتكنولوجيا والتكتيك سبيل تطورهما واختراعاتهما وأبحاثهما ، حتى يتجه التطور فى اتجاهات مجدية متلائمة مع الطريق المؤدى الى غاية الصراع الاساسية ، وهى النتيجة الحاسمة » (٢٧) كما يقول « بوفر » . ومن هنا كان على الاستراتيجية أن تتابع نتائج العلوم الطبيعية وتطور التكنولوجيا ، حيث انه يستحيل

---

(٢٥) نص أورده مؤلفو « الاستراتيجية السوفيتية » ـ المرجع السابق ـ صفحة ٢٧ ، ٣٦٩ .
(٢٦) نص أورده « بالمر » فى كتاب « رواد الاستراتيجية الحديثة » ـ الجزء الاول ـ صفحة ١٩٤ .
(٢٧) بوفر ـ المرجع السابق ـ صفحة ٨٢ ـ ٧٨ .

بدونها ، خاصة فى العصر الحديث الذى نعيش فيه ، حل مسائل تجهيز واستخدام القوات المسلحة فى الحرب ، ولانه أيضا « مما يحتم ضرورة ارتباط الاستراتيجية بالعلوم الاخرى ارتباطا وثيقا أن بعض العلوم التكتيكية ، التى تعد أقرب من غيرها للانتاج الحربى ، تتلقى من وقت لاخر مهام عامة واحيانا مهام فنية تكتيكية محددة لتصميم أسلحة ومعدات جديدة تحددها لها الاستراتيجية » (٢٨) على حد تعبير مؤلفى « الاستراتيجية السوفييتية » .

العلاقة بين الاستراتيجية والسياسة : تبعا للمفهوم العلمى السليم من أن الحرب ليست هدفا فى حد ذاتها ، وانما هى وسيلة من وسائل السياسة ، فان الاستراتيجية تصبح تابعة للسياسة وليس العكس ، كما أنها تتأثر بطبيعة الهدف السياسى الذى يحدد طبيعة الحرب نفسها وما اذا كانت حربا عادلة أم غير عادلة ، وذلك من حيث حصولها على مساندة الشعب أو معارضته لها أى من حيث العنصر المعنوى ، وهو عنصر بالغ الاهمية فى تقرير نتائج الحرب نفسها والاستراتيجية المطبقة فيها ، كما أن السياسة تؤثر على الاستراتيجية من حيث توقيت بدء العمليات الحربية ومن حيث اختيار مكان الضربة الاستراتيجية العامة أحيانا ، كما ان السياسة تستطيع قبل وأثناء الحرب أن تخلق الظروف المناسبة لنجاح الاستراتيجية ، وذلك عن طريق اكتساب الحلفاء مثلا أو ضمان حياد بعض الدول وما الى ذلك من النشاطات السياسية . ومن ناحية تتأثر السياسة فى كثير من الحالات خاصة أثناء الحرب بمتطلبات الاستراتيجية ، بل انها يجب ان تضعها فى اعتبارها خاصة أثناء التنفيذ الفعلى للمخططات الاستراتيجية الموضوعة ، كما ان تأثير السياسة على الاستراتيجية فى المراحل الاخيرة من الحرب يكون له اهميته الخاصة « لان الوضع الدولى بعد الحرب يتوقف الى حد كبير على الموقف الذى تكون فيه الدولة فى المرحلة الختامية من الحرب (٢٨) .

العلاقة بين الاستراتيجية والاقتصاد : تعتمد نتيجة الحرب النهائية ليس فقط على الاستراتيجية والتكتيك ، وانما ايضا على الظروف الاقتصادية المختلفة ، وخاصة فى عصرنا الحديث ، عصر الصناعة الضخمة وتطور المعدات القتالية الهائل والسريع ، الذى يحتاج الى قدرات صناعية وعلمية عالية ، وتوفر موارد ضخمة للمواد الخام والطاقة المحركة بمختلف أنواعها ، تلك الموارد التى يلعب حجمها والاحتياطى الموجود منها دوره الواضح على طبيعة الاستراتيجية المنفذة من حيث اعتمادها على العمل العسكرى السريع الخاطف أو من حيث لجوئها الى وسائل حرب الانهاك الطويلة الامد الخ .

ومن هنا تنبع الاهمية البالغة فى اعداد اقتصاد الدولة للحرب ، وجعل الصناعة والمواصلات قادرة على تلبية مطالب الاستراتيجية بسرعة ومرونة ، ولذلك يجب أن تمد الاستراتيجية الاقتصاد بالبيانات الخاصة بمتطلباتها وأن تضع فى اعتبارها ايضا توفير الحماية للاهداف الاقتصادية عند الدفاع ، وتدميرها أو شلها عند الهجوم . والخلاصة ان مضمون الاستراتيجية لا يتحدد فقط بنوع المبادىء أو القوانين الاستراتيجية التى تدخل فى عملية انشاء وتنفيذ المخطط الاستراتيجى ، وانما يتحدد ايضا بتأثير العوامل السياسية والمعنوية والعوامل الاقتصادية والجغرافية والتاريخية التى تحكم الصراع القائم من حيث المكان والزمان والامكانيات كما يتحدد أيضا بطبيعة الحرب المتوقعة أو الدائرة فعلا ومدى تطور طرق ادارتها وتكتيكاتها ، ويتأثر ذلك المضمون ايضا بطبيعة النظريات الاستراتيجية للعدو أو للخصوم المحتملين ، ولذلك « لا يظل مضمون الاستراتيجية الحربية ثابتا دون تغيير ، بل هو يتطور ويتغير تبعا لتعريف موضوع الاستراتيجية والمهام التى تحددها سياسة الدولة للاستراتيجية الحربية ، وتبعا للامكانيات المادية والمعنوية ، أى تبعا للقوى والموارد التى تتخصص تحت أمرة الاستراتيجية » (٢٩) .

هذا ويجب ان نضع فى اعتبارنا أن حديثنا هذا عن الاستراتيجية انما يتعلق بعموميتها المطلقة ، وأن هذه العموميات تأخذ أشكالا شديدة الخصوصية فى ظروف التطبيق الاستراتيجى العامة المتباينة ، فالقواعد الاستراتيجية وطرق ادارة الحرب تأخذ طابعا خاصا مثلا فى الحروب الشعبية الثورية التى تستند الى اساليب حرب العصابات ، كما أنها تكتسب نوعية مختلفة بشكل شديد فى ظروف الحرب الذرية ، ونأمل أن نخصص لكلا الموضوعين بحثا خاصا بهما يوضح خصائص استراتيجية كل منهما .

وأخيرا نقول أن نجاح أى استراتيجية لا يتوقف فقط على صحة المبادىء العسكرية التى تطبقها ، وانما ايضا على صحة وكفاءة حشد كل الموارد المادية والمعنوية والسياسية للدولة ، أو كما يقول « كلاوز فيتز » « ان البلد يحكم على نفسه بالهزيمة عندما يمتنع عن استخدام جزء من وسائله ، فى الوقت الذى يصمم فيه خصمه على استخدام وسائله كلها » .

---

(٢٨) المرجع السابق ـ صفحة ٢٥ ، ٤٨ .
(٢٩) المرجع السابق ـ صفحة ٢٦ .